الاطفال وحديقة المتاريس

-1-

يعبر الفرح من عيون البنادق الى عيون الاطفال وحين يسكت صوت رصاص الرعب يصل الفرح الى قلوبهم، وتظل حدائق المتاريس تذكرهم بان الخوف هو طريق الطمأنينة .. وان رياح البغي تتكسر على سياج الحدائق . وفي الليل عندما يهجع الصغار وترتفع اصوات القنابل يظل الاطفال يحلمون . انهم متأكدون من ان المتاريس وان التصقت بالارض فانها ايضاً تحميهم من غضب السماء.

-2-

قال الطفل لابيه : لماذا لا تعمل لنا متراساً رد الاب : الا تراه يا بني .. انه هناك على زاوية الشارع .

قال الطفل : هذا ليس لنا ... هذا للحارة ..

قال الاب : المتاريس يا بني .. كالحدائق العامه ... ليست ملكاتً لاحد .. انها ملكاً للشعب .. كل الشعب ... ولا يجوز للافراد .... او الشلل فتح المتاريس على حسابهم .

-3-

عام 48 كنت طفلاً ... وكنت احب المتاريس في قريتنا ... وقد عمل الرجال منها الكثير ... ولكن اعداءنا ضحكوا علينا ... واخذوها ... وفي عام 70 في ايلول عمان عملنا متاريس كثيرة وصمدنا امام كل الرياح الصناعية والمستوردة ... ولكنهم عادوا .. وضحكوا علينا وفي ايار 73 .. في بيروت غمرت حدائق المتاريس عيون الاطفال .. وظلت البنادق في ايدي الرجال صامدة ... ولم يستطع الاعداء ان يضحكوا علينا وفي ايار 75 ... والمهزومون في فيتنام يريدون رد اعتبارهم عن طريق هزيمتنا ... فامروا فامتلأت الارض .. والسماء .. والحقول بالمتاريس الصلبة .. وانهزموا ايضاً .. وضحكنا عليهم ولكني متأكد من انهم سيحاولون ثانيةً ... كما اني متأكد من ان الشعب سيقهقه على مسلسل هزائمهم .

-4-

كان احد الرجال يصر على بقاء المتاريس في الشوارع حتى وان عاد الهدوء والامن .. لانه كما قال لا يثق بنوايا الذين يصنعون المأسي ويعملون باوامر من خارج الحدود، ولكن صاحبه كان يؤكد له انه بالرغم من صحة تقديراته الا ان المتاريس شيء نصنعه ليساعدنا .. لا ليعيقنا .. وان علينا ان نتعلم ان المتراس .. كالبندقية .. يجب ان يظل جاهزاً لنستطيع في الوقت المناسب ان نضعه في المكان المناسب انها الفكرة التي يجب ان تظل في عقولنا لتقفز عند الضرورة الى ايادينا ونحولها الى حقائق مادية .

-5-

بعد ان امتلأت المدينة المنورة بالمتاريس امر النبي عليه السلام بحفر الخندق حولها لصد الغزاة الجاهليين وعمل الرجال والنساء والاطفال .. واصبح الخندق اقوى المتاريس ... وخلفه وقف رجال يؤمنون بما عاهدوا الله عليه ... وغنى الاطفال للخندق ... وللمتاريس ولعنوا ابليس .. والجواسيس ... وانطلق الفتى علي (رضي الله عنه) يقاتل فارس فرسان الكفره عمر بن ود فيصرعه .. فيغني الاطفال ... لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي ... وبعد عام .. تسقط مكة في ايدي المؤمنين قبل ان ينبت فيها أي متراس .

-6-

-ما الفرق بين الحديقة .. والغابة . وتجاهل صاحبي السؤال وسرنا .. وبعد دقيقة ونصف انطلق صوت جديد . قف ... انزل عالارض .. تفتيش ..

-يا اخوان نحن من (....) .. هذه هوياتنا .

-انزل ...

ونزلنا ... وفتشوا السيارة ... للمرة العاشرة وعلى بعد 20 متراً كان هنالك حاجز اخر وصلناه فعادت الاسطوانة .

- قف .. انزل عالارض ... تفتيش . وسألت صاحبي من جديد : ما الفرق بين الحديقة والغابة . وتجاهل السؤال .. فقلت له .. في الحديقة تكون الزهور مرتبة ...

والاشجار منسقة وليس بينها خبيث ويستطيع الاطفال ان يلعبوا وينتعشوا اما في الغابة فان التداخل ... بين الفروع وتعرج الممرات يجعل الاطفال يضلون طريقهم ... فتختلط الاشجار الطيبة بالنباتات الخبيثة والطفيليات ... لهذا نرى الاطفال يعبر الفرح الى عيونهم من عيون البنادق في الحدائق وليس في الغابات .

-7-

الدكتاتوريات العسكرية .. لا تسقط الا بالمتاريس الشعبية .

الاستشهاد وأيام الخصب الفلسطينية غابوا فتكاثرت الازهار وامطرت الفكرة احرفها غمرت صدر الخيمات تفجر موسمها ...

وتذكرنا يوم تباعدنا كان الوعد بان ياتوناواطلوا في رمضان...

وغابوا ثانية

فامتلأت في الارض المحتلة غابات الاستشهاد

***

من قلب الحزن صنعنا الفرح

ومن مزق الموت ملأنا الدهر حياة

ومن العدم بعثنا الخلد الابدي

***

يتفجر في نفسي عشق يمطر فرحا
واراه يشد خيوط بلادي
يغزل من مهج الشهداء لواء
تقفز فيه الحمرة فوق روابي الوطن
ويضطجع ظلام البحر على صدر ضياء النهر

***

كانوا اطفالا
بدأت تصغر من حولهم الاشياء
ارتكبوا الحب
فحوله ناصر شعرا
والعدوان حسابا
والنجاردروسا للاطفال عن الارض
وحين اجتمعوا وارتكبوا الحب معا
اصبح في ايديهم بارودا...
وفلسطين تعانقهم وتفجر ايام الخصب

***

وتعالوا نرقب سافوي
وقد ملأ الارض بأجنحة الشرق
وبعثر نيسان الاول في القسطل..
دير ياسين...
نيسان الثاني في الفردان

***

هذي الاغنية يا شعبي كانت حرفا
حمله الريح فصار دما
جعلته الارض لها علما
والارض تدور
تتساقط حول براعمها

نفحات النور
وتموت الاصوات المصبوغة باليأس
قد كنت خريفا يا نيسان
واليوم تكاثرت الازهار
وامطرت الفكرة احرفها
غمرت صدر الخيمات
تفجر موسمها في زمن الخصب
فعدت ربيعا يا نيسان
وتكثف معنى القرب من الوطن
يتسارع بين السعي اليه من الثوار
وبين لصوص تهرب منه
وقد جرحها وهج النار
يا شهداء تعالوا ثانيه
فالوطن اقترب
وصار الحلم فلسطينيا
والوهم الصهيوني تثاءب حتى الموت
***
تتدفق في شريان الارض حقائق كانت
فتعالوا يا شهداء
وغنوا معنا انشودة فيتنام وكمبوديا
وتعالوا كي نتذكر...ونذكر
ان عدو البشرية امريكا
***
من أين يجيء الفرح الي؟!
سألت الشمس
فقالت: ... منك
-وكيف؟
فقالت:

في زمن الفتح يعود الوطن
الى كف الانسان
ويلمس جرح الماء العطشان
ويسقط نجم الباغي
ويذوب من الخوف الطاغي
- وعلامة زمن الفتح تقول الارض
اغنية كانت حرف حملته الريح
فصار دما
والحرف يصيح...
حب الوطن هو الايمان
حب الوطن هو الايمان